موقف الاسلام من العصبية

The Islamic Perspective on Fanaticism

الباحث: راكان أحمد حامد*
Researcher: Rakan Ahmad Hamed

البريد الالكتروني للطالب:ra٢٣٠٠١٣is@st.tu.edu.iq

أ.م. د. محمود علي فرحان

Asst Prof .Dr.Mahmoud Ali Farhan

البريد الالكتروني للمشرف: dr-mahmood@tu.edu.iq

رقم الاوركيد للمشرف: ٠٠٠٠-٠٠٠٢-٧٨١٧-٢٢٨٩

المستخلص

لدراسة موضوع العصبية أهمية كبيرة في الوقت الحالي، لأنها تستهدف وحدة الأمة والاخوة الايمانية وإحياء التفرقة، وقد تبين لنا من خلال تعريف التعصب، أن التعصب هو: التعصب لرأي فقيه أو مذهب من المذاهب أو الفرق الاسلامية مما يعني عدم قبول الحق عند ظهور الدليل مما يؤدي ذلك الى خفة العقل والتي أثرت في كيان المجتمع الاسلامي حتى مزقته وزرعت بذور الفرقة والاختلاف بين أبنائه. وقد توصل الباحث الى ذكر أنواع التعصب كالحزبية والقومية والقبلية والاسباب التي أدت الى التعصب من خلال ذكر اراء الباحثين وتصوراتهم كالجهل بحقيقة الامور وعدم الاصغاء الى الاخرين والتقليد الاعمى والانغلاق الفكري والجمود الذهني ورفض الرأي المخالف، وخلص البحث إلى أن الإسلام واجه العصبية من جذورها، فذكّر الإنسان بأصله الواحد ليزيل أسباب الكبر والتفاخر، وجعل التقوى المعيار الحقيقي للتفاضل بين الناس. كما حذّر من آثار العصبية المدمّرة على الفرد والمجتمع، وبيّن أن التمسك بها يورث الانقسام والفساد، بينما يؤدي نبذها إلى ترسيخ الوحدة والتماسك الاجتماعي وتحقيق مقاصد

* جامعة تكريت /كلية العلوم الاسلامية Tikrit University / Islamic faith thought

الشريعة في العدل والأخوة الإنسانية. وإن الفائدة من دراسة النهي عن التعصب فيها فتح لباب الحوار والنظر في أقوال الآخرين، وعرضها على ميزان النقد لبيان الحقيقة ومعرفة الحق في كثير من الخلافات بين العلماء. وقد تحلّى علماء المسلمين بروح الموضوعية، والإنصاف، وعدم التعصب في تناول المسائل العلمية في بحوثهم ، فكان الحق هو الهدف ورضا الله هي الغاية.

Abstract

The study of fanaticism is of great importance in the present time, as it directly affects the unity of the Muslim Ummah and the bonds of faith-based brotherhood, and contributes to the revival of division and discord. Through defining fanaticism, it has been shown that it refers to blind adherence to the opinion of a jurist, a particular school of thought, or an Islamic sect, which leads to the rejection of truth when clear evidence appears. This, in turn, results in intellectual rigidity that has negatively impacted the structure of the Islamic society, fragmenting it and sowing the seeds of division and disagreement among its members.

The researcher identified several forms of fanaticism, such as partisan, nationalist, and tribal fanaticism, as well as the causes that lead to it, based on the views and analyses of scholars. These causes include ignorance of the true nature of matters, refusal to listen to others, blind imitation, intellectual isolation, mental rigidity, and rejection of opposing opinions. The study concludes that Islam confronted fanaticism at its roots by reminding human beings of their common origin in order to eliminate arrogance and pride, and by establishing piety as the true criterion of merit among people. It also warned against the destructive effects of fanaticism on both the individual and society, clarifying that adherence to it results in division and corruption, whereas abandoning it leads to unity, social cohesion, and the realization of the objectives of Islamic law in justice and human brotherhood.

The benefit of studying the prohibition of fanaticism lies in opening the door to dialogue, examining the opinions of others, and evaluating them through critical analysis in order to uncover the truth and resolve many scholarly disagreements. Muslim scholars have historically embodied objectivity, fairness, and freedom from fanaticism in their academic discussions, making truth their ultimate goal and the pleasure of God their highest aim.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه الى يم الدين.

أما بعد:

تعدّ وحدة الأمة الإسلامية من أبرز مقاصد الشريعة الغرّاء، فقد جاء الإسلام ليؤلف بين القلوب تحت راية التوحيد، ويقضي على مظاهر التفرقة القائمة على العصبية القبلية أو التمييز العرقي أو الانقسام المذهبي. وقد واجه النبي (ﷺ) منذ بداية دعوته صور الصراع والتناحر بين القبائل، فأسس مبدأ الأخوة الإيمانية الذي يتجاوز اعتبارات النسب واللون والمكان. وفي المقابل، شكّلت العصبية والفرقة عبر التاريخ أخطر العلل التي أصابت المجتمعات الإسلامية، فتسببت في ضعفها وتمزق وحدتها وضياع مكانتها[1].

وما يبعث في النفوس ألماً وحسرةً أن الأمة الإسلامية تعيش حالة من التشتّت والتفرّق، فلا يجمعها فكرٌ موحّد ولا منهجٌ واحد، ولا تصطف في صفٍّ متماسك، نتيجة اختلاف أفكارها وتعدّد مناهجها. وقد أفضى بها ذلك إلى الوقوع في دائرة الفرقة والاختلاف التي نهى الله تعالى عنها وحذّر عباده منها، فقال عزّ من قائل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ال عمران: الآية ١٠٥

وإن من نتائج هذا الضعف والتشرذم أن تجرّأ الطغاة على الأمة، واستخفّ بها أعداؤها، فاستهدفوها بسهمٍ واحد أصاب صميمها، وأخذوا يقتطعون من خيرة شبابها ما شاءوا على فترات متعاقبة، دون أن يدفع ذلك

[1]) ينظر: التربية الإسلامية ودورها في نبذ التعصب من خلال مصدريها الأصليين القرآن الكريم والسنة النبوية، سلامة مطر حسين المزاودة، مقالة منشورة في مجلة كلية التربية/جامعة اسيوط، المجلد٣٧، العدد٢، فبراير ٢٠٢١، ص١٠٧.

كثيراً من أبنائها إلى مراجعة مناهجهم المتعصّبة والمتعنّتة التي عمّقت الفرقة وزادت الانقسام، رغم وضوح التحذير الإلهي[١] في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الانفال: الآية ٤٦

ولأهمية هذا الموضوع كان سبب اختياري لعنوان البحث وهو(موقف الاسلام من العصبية)، وقد تكونت الدراسة من مقدمة ومبحث وفيه اربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: تعريف التعصب لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: الأدلة من القران والسنة على نبذ التعصب

المطلب الثالث: أشكال العصبية وأسبابها واثارها

المطلب الرابع: منهج الاسلام في محاربة العصبية.

المبحث الأول : مفهوم التعصب وأثره على وحدة المجتمع

المطلب الأول: تعريف التعصب لغة واصطلاحا

أولاً: التَّعَصُّبُ لغة: " العَصَبِيّ : مَنْ يُعِينُ قومه على الظلم، وهُوَ الَّذِي يغضب لعَصَبَتِه ويُحَامي عَنْهُمْ، ويُعَصبُوه أَي يُسَوِّدُوه ويُملكوه، وَكَانُوا يُسمون السيد المُطاعَ مُعَصَّبا ، لِأَنَّهُ يُعَصّب بالتاج أو تعصب به أمور الناس: أَي تُرَدَّ إِلَيْهِ وتُدَارُ بِهِ "[٢].

"والعصبة الأقارب مِنْ جِهَةِ الأب، لأنهم يُعَصبونه، ويَعْتَصبُ بهم أي يُحيطون به، ويَشْتَدُّ بهم، والعَصَبِيَّة والتَّعَصُّبُ المحاماة والمدافعة، وتَعَصَّبْنا له وَمَعَهُ: نَصَرناه، وعَصَبَةُ الرَّجُل قومه الَّذِينَ يَتَعَصَّبُونَ لَهُ" [٣].

---

[١]) ينظر: ايات ذم التعصب والعناد في القران الكريم دراسة موضوعية، م.م.محسن عبد الله خلف، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث والستون، كانون الاول، ٢٠٢٣م، ص ١٤٨.

[٢]) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ٢٤٣/٣.

[٣]) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل الانصاري ابن منظور، دار صادر بيروت، ط٣، ١٩٩٥م، ٦٠٦/١.

ثانياً: التعصب اصطلاحا: " أنها النعرة على ذوي الأقارب ومن ذوي الأرحام من ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة ... ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نعرة كل احد على أهل ولائه و حلفه "[١]. وقيل بأنه:" عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء الى الميل الى جانب الهوى فيوجب ذلك التعصب خفة سفه، اي خفة عقل يكون للسفهاء "[٢].

وقيل: هو " الغلو والتمادي في التعلق الشخصي بمبدأ أو فكرة أو عقيدة, بحيث لا تترك مجالاً للتسامح, وقد يتعدى ذلك إلى العنف والتخريب [٣]". "وهناك من الباحثين من فسرها (رابطة الدم) أو(التكاتف الاجتماعي) أو (تضامن قبلي) إلى غير ذلك من التفسيرات والتعريفات[٤]". لذا يرى الباحث أن التعصب ظهر في مستويين متكاملين؛ الأول: فطري اجتماعي يتمثل في النعرة وحماية ذوي القربى، وهو ما يُعرف بالعصبية القبلية. والثاني: معرفي سلوكي يتمثل في الغلو والتمادي ورفض الدليل الفكري. وإن كان الأول يقوم على رابطة الدم والثاني على رابطة الفكر، إلا أن كلاهما يلتقي في نقطة السفه وخفة العقل التي تمنع الإنسان من قبول الحق، وتدفع به نحو العنف والتصادم.

المطلب الثاني: الادلة من القران الكريم والسنة النبوية على نبذ التعصب

لقد أشار القران الكريم الى موضوع التعصب وحذر صاحبها في آيات عديدة منها:

١- قال تعالى: ﴿ فلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ النساء: ١٣٥

---

[١]) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١، ١/١٦٠.

[٢]) تيسير التحرير، محمد أمين بن محمود البخاري الحنفي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤، ٣/٢٣٩.

[٣]) التعصب أسبابه وصوره ومعالجاته، د. أحمد عبد الرزاق، مقال على الصفحة الرئيسية للفيسبوك لموقع كلية العلوم الاسلامية في جامعة الانبار بتاريخ ٢٠٢٢/٤/٢٤م.

[٤]) العصبية وخطرها على الفرد والمجتمع، عبدة عبد الله علي مسعد العبدلي، دط، دت، ص٦.

قال ابنُ كثيرٍ: " أي: فلا يحمِلَنَّكم الهوى والعَصَبيَّةُ وبِغضةُ النَّاسِ إليكم على تَرْكِ العَدْلِ في أمورِكم وشُؤونِكم، بل الزَموا العَدلَ على أيّ حالٍ كان"[١].

يستنتج الباحث من الآية الكريمة أن الآية تدعو إلى العدل وترك الهوى، لأن اتباع الهوى يؤدي إلى التعصب والظلم، بينما تركه يحقق الإنصاف بين الناس ويقضي على العصبية.

٢- وقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٢ أي "إنَّه لا مَنطِقَ ولا عَقَلَ، ولا دليلَ ولا بُرهانَ، وإنَّما هي عَصَبيَّةٌ عَمياءُ"[٢].

٣- وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ الفتح: ٢٦

أي: "حميَّةُ الجاهليَّةِ: العَصَبيَّةُ لآلهتِهم التي كانوا يَعبُدونَها من دونِ اللهِ، والأَنَفةُ من أن يَعبُدوا غَيرَها"[٣].

٤- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. الحجرات: ١٣ دلت الآية على " الحِكمةُ في جَعلِ بني آدَمَ شُعوبًا وقبائِلَ هي التَّعارُفُ فيما بَينَهم، وليست هي أن يتعَصَّبَ كُلُّ شَعبٍ على غَيرِهِ، وكُلُّ قبيلةٍ على غيرِها؛ فالأصلُ مَنعُ النِّداءِ بالرَّوابِطِ العَصَبيَّةِ والأواصِرِ النَّسَبيَّةِ" [٤].

قال تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم: ٣١-٣٢

١) تفسير القران العظيم، اسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ه، ٤٣٣/٢.

٢) التفسير القراني للقران، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٨٢، ٥٧٧/١١ .

٣) تفسير الماوردي، الامام ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٢٠/١٩٨٨،٥.

٤) اضواء البيان في ايضاح القران بالقران، محمد الامين بن محمد المختار للشنقيطي، دار الفكر، بيروت٣،١٩٩٥/٤٥.

وفي الآية " تحذيرٌ للمُسلِمين من تشَتُّتِهم وتفَرُّقِهم فِرَقًا، كُلُّ فريقٍ يتعَصَّبُ لِما معه من حَقٍّ وباطِلٍ، فيكونون مشابِهين بذلك للمُشرِكين في التَّفَرُّقِ، بل الدِّينُ واحِدٌ، والرَّسولُ واحِدٌ، والإلهُ واحِدٌ" [1] .

٦- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ الأعراف: ١١-١٢. وقد قيل: إنَّ إبليسَ " اعتَرَضَتْه الحَمِيَّةُ، فافتَخَر على آدمَ بخَلْقِه، وتعصَّبَ عليه لأصلِه؛ فعَدُوُّ اللهِ إمامُ المتَعَصِّبين، وسَلَفُ المُتكَبِّرين، الذي وَضَع أساسَ العَصَبيَّةِ" [2]. لذا يرى الباحث أن الآية تدل على ذم العصبية والتكبر؛ لأن التعصب للأصل أو النسب أو العنصر يؤدي إلى الظلم ورفض الحق، ولذلك يدعو الإسلام إلى ترك العصبية والتواضع وقبول الحق

ولما كانت السنة النبوية الشريفة متمِّمة للقرآن الكريم ومسايرة له في بيان أحكام الشريعة، فقد أسهمت إلى جانبه في التحذير من آفة التعصب، وبيان آثارها الخطيرة على الفرد والمجتمع. ولِكَثرة الأحاديث الواردة عن النبي (ﷺ) في هذا المجال، يتعذر حصرها، لذا نكتفي بذكر نماذج وشواهد مختارة من السنة المطهرة استئناسًا وبيانًا.

١- عن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ (ﷺ): « ان اللهَ عزَّ وجَلَّ قد أذهَبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهِليَّةِ، وفَخْرَها بالآباءِ؛ مُؤمِنٌ تَقِيٌّ، وفاجِرٌ شَقِيٌّ»[3].

قال القاري: " انَّ اللهَ قد أذهَبَ" أي: أزال ورفَع "عنكم عُبِّيَّةَ الجاهِليَّةِ": بضَمِّ العَينِ المُهمَلةِ وكَسرِها، وكَسرِ مُوَحَّدةٍ فتَحْتيَّةٍ مُشَدَّدتَينِ، أي: نَخْوَتَها وكِبْرَها. "وفَخْرَها" أي: وافتِخارَ أهلِ الجاهليَّةِ في زمانِهم بالآباءِ" [4].

---

[1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، جمعية احياء التراث الاسلامي، الكويت، ٢٠٠٠م، ص٦٤١.

[2]) ربيع الابرار ونصوص الاخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ٣٣٢/١.

[3]) سنن ابي داود، كتاب النوم، باب في التفاخر بالاحساب، ٣٣١/٤، رقم الحديث: ٥١١٦.

[4]) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد ابو الحسن نور الدين الملا هروي القاري، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ٣٠٧٣/٧ .

٢- وعن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ (ﷺ) أنَّه قال: « من قاتَلَ تحتَ رايةٍ عُمِّيَّةٍ يَغضَبُ لعَصَبةٍ، أو يَدعو إلى عَصَبةٍ، أو يَنصُرُ عَصَبةً، فقُتِلَ؛ فقِتلةٌ جاهِليَّةٌ»[١] والمعنى: "من قاتَل عَصَبيَّةً فمات وهو على ذلك، مات على هيئةٍ كانت الجاهِليَّةُ تموتُ عليها في كَونِهم يقاتِلون للعَصَبةِ لا للحَقِّ"[٢].

٣-وعن أبي نَضرةَ، حَدَّثني من سَمِع خُطبةَ رَسولِ اللهِ (ﷺ) في وَسَطِ أيَّامِ التَّشريقِ، فقال: « يا أيُّها النَّاسُ، ألَا إنَّ رَبَّكم واحِدٌ، وإنَّ أباكم واحِدٌ، ألَا لا فَضْلَ لعَرَبيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لعجَميٍّ على عَرَبيٍّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ، إلَّا بالتَّقْوى»[٣].

قال العلامة السندي: " فليس بَينَ اللهِ وبَينَ خَلقِه صِلةٌ إلَّا بالتَّقوى؛ فمن كان لله أتقى كان من اللهِ أقرَبَ، وكان عِندَ اللهِ أكرَمَ؛ إذًا لا تفتَخِرْ بمالِك، ولا بجمالِك، ولا ببَدَنِك، ولا بأولادِك، ولا بقُصورِك، ولا سيَّاراتِك، ولا بشَيءٍ من هذه الدُّنيا أبدًا، إنَّما إذا وَفَّقَك اللهُ للتقوى فهذا من فَضلِ اللهِ عليك؛ فاحمَدِ اللهَ عليه" [٤].

٤- وعن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، يقولُ: كنا في غَزاةٍ فكَسَع رجلٌ من المُهاجِرين رجُلًا من الأنصارِ، فقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصارِ، وقال المُهاجِريُّ: يا لَلمُهاجِرين، فسَمَّعَها اللهُ رسولَه(ﷺ) قال:« ما بالُ دعوى الجاهِليَّةِ؟» فقالوا: كسَعَ رَجُلٌ من المُهاجِرين رَجُلًا من الأنصارِ فقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصارِ، وقال المُهاجِريُّ: يا لَلمُهاجِرين، فقال النَّبيُّ(ﷺ): « دَعُوها؛ فإنَّها مُنْتِنةٌ»[٥].

---

١) صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ٢٢/٦، رقم الحديث: ١٨٤٨.

٢) الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج، محمد الامين بن عبد الله الهرري، دار المنهاج، بيروت،٢٠٠٩، ٩٤/٢ .

٣) مسند احمد، كتاب باقي مسند الانصار، حديث رجل من اصحاب النبي، ٤١١/٥، رقم الحديث: ٢٣٤٨٩.

٤) حاشية السندي على مسند الامام احمد بن حنبل، العلامة ابي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣١هـ، ١٤/٥.

٥) صحيح البخاري، كتاب الادب، باب العصبية، ٦٦/٦، رقم الحديث: ٣٥١٨.

قال النَّوويُّ: " وأمَّا تسميتُه(ﷺ) ذلك دعوى الجاهِليَّةِ فهو كراهةٌ منه لذلك؛ فإنَّه ممَّا كانت عليه الجاهِليَّةُ من التَّعاضُدِ بالقبائِلِ في أمورِ الدُّنيا ومُتعَلِّقاتِها، وكانت الجاهِليَّةُ تأخُذُ حُقوقَها بالعَصَباتِ والقبائِلِ؛ فجاء الإسلامُ بإبطالِ ذلك"[1].

تدل هذه الأحاديث على تحريم العصبية والتعصب، وبيان خطورتهما على الفرد والمجتمع؛ إذ نهى النبي (ﷺ) عن الدعوة إلى العصبية أو نصرتها، وعدَّ القتال لأجلها من أخلاق الجاهلية، كما بيّن أن الناس متساوون ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، وكذلك التنفير البليغ والتشبيه للتعصب بالشيء الفاسد الذي تفوح منه رائحة كريهة. فالإسلام يريد للمجتمع أن يقوم على الأخوة الإيمانية والقيم الأخلاقية، بينما التعصب يفسد مودة القلوب ويهدم تماسك المجتمع.

المطلب الثالث: أشكال العصبية وأسبابها واثارها

ان التعصب ظاهرة قديمة رافقت البشرية عبر العصور ولا تزال موجودة في المجتمعات اليوم. وتظهر بصور متعددة كالتعصب الديني والعرقي والوطني والحزبي. لذلك تعددت أشكاله وانتشرت في مختلف المجتمعات الى:

١- التعصب الديني : وهي تعصب المرء على أساس دينه ويسعى للإلغاء الآخر ومحوه من الوجود، ويظهر جليًا في الديانات السماوية الثلاث؛ اليهودية والمسيحية والإسلام، حيث تتعصب بعض الطوائف لمذاهبها وترفض وتعادي من يخالفها، وقد سجل التاريخ أمثلة كثيرة على هذا النوع من التعصب[2].

٢-التعصب القومي : حيث ترى بعض السلالات نفسها أفضل من غيرها، كما حدث مع الجنس الآري في أوروبا ومع بعض اليهود، إذ يعتقد كل عرق أنه أسمى من غيره، بل قد يظهر هذا التعصب حتى داخل العرق الواحد بين القبائل والعائلات[3].

---

١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار احياء التراث الاسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٣٧/١٦.

٢) ينظر: علم النفس الاجتماعي، نادر طالب الشوامرة، دار الثقافة، عمان، ط١، ٢٠١٤م، ص٣٦.

٣) ينظر: علم النفس الاجتماعي، ص٤٥٦.

٣- التعصب العنصري: وقد استعملته الدول الاستعمارية الأوروبية، فمارست الإبادة والاستعباد خاصة ضد الأفارقة، وظهر ذلك في أستراليا وأمريكا وإفريقيا الجنوبية وفلسطين المحتلة، حيث تعرض السكان الأصليون للتمييز والمعاملة اللاإنسانية، وقد شهدت أمريكا أيضاً فترات طويلة من التمييز العنصري[١].

٤- التعصب الاجتماعي: ظهر داخل المجتمع بين الطبقات أو المناطق المختلفة كالأغنياء والفقراء أو الحضر والبادية، حيث ترى كل فئة نفسها أسمى من غيرها ولا تتعامل إلا مع من يماثلها، وتعد باقي الفئات أقل مكانة[٢].

٥- التعصب السياسي: يظهر بين المنتمين للأحزاب أو التيارات الفكرية، حيث يعتقد كل فرد أن حزبه هو الأصح والأفضل، فيرفض أفكار الأحزاب الأخرى ولا يتقبل من يختلف معه سياسيًا[٣].

٦- التعصب ضد الجنس الاخر: هو التمييز بين الذكور والإناث، حيث ينظر بعض الرجال إلى المرأة على أنها أضعف وأقل مكانة، كما قد يظهر التعصب من بعض الحركات النسوية ضد الرجال[٤].

ومن أبرز الأسباب المؤدية إلى ظهور التعصّب ما يأتي:

١- تضخيم الذات والإعجاب المفرط بها، بما يؤدي إلى إقصاء الآخر، وإنكار حقوقه ووجوده، ورفض التحاور معه. ومثاله: شخص يعتقد أن قبيلته أو جماعته أفضل من الجميع، فيرفض الجلوس مع الآخرين أو الاستماع لهم لأنه يرى أنهم أقل منه ولا يستحقون الحوار.

٢- تقديس بعض الأشخاص والمغالاة في الميل إليهم وتقليدهم تقليدًا أعمى، إلى حد إضفاء صفة العصمة عليهم، مع إقصاء حق الاختلاف الفكري، وغياب احترام الاجتهاد وتعدد الآراء. ومثاله: شاب

---

[١]) ينظر: تفسير التعصب والحد منه بين النظريات النفسية والاجتماعية، صديق بلحاح، مجلة معارف، كلية العلوم التربوية والاجتماعية، جامعة البويرة، الجزائر، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، حزيران، ٢٠٢٤م، ص٧٣٩.

[٢]) ينظر: العصبية بنية المجتمع العربي، عبد العزيز قباني، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٧م، ص١١٣.

[٣]) ينظر: بحوث في علم النفس والشخصية، عبد الله معتز سيد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٣٣.

[٤]) ينظر: تربية الأطفال في الاسلام، عبد الله علوان، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٧٢/١.

يتبع شخصًا مشهورًا أو قائدًا ويتبنى كل آرائه دون تفكير، ويهاجم أي شخص يخالفه حتى لو كان كلام المخالف صحيحًا.

٣- الجهل بحقيقة الآخرين، وعدم الإصغاء إليهم أو تقبّلهم، في ظل غياب الحوار البنّاء وروح التعايش المشترك. ومثاله: طالب يكره زميلًا من منطقة أو طائفة مختلفة دون أن يعرفه أو يتحدث معه، فقط لأنه سمع كلامًا سلبيًا عنه من الآخرين.

٤- الانغلاق الفكري والجمود الذهني، ومجانبة الموضوعية والمنهجية المنطقية عند تناول القضايا الخلافية، مما يفضي إلى رفض الرأي المخالف، وتسفيهه، وازدرائه. ومثاله: شخص يرفض أي فكرة جديدة أو رأي مختلف، ويصرّ أن رأيه هو الصحيح دائمًا، ويستهزئ بمن يحاول مناقشته أو إقناعه.

٥- انتشار الأفكار المتطرفة التي تروّج لها جماعات وفرق منحرفة، وتقوم على التحريض على العنف، وتكفير من يخالفهم في المذهب أو الرأي. ومثاله: شخص يتابع صفحات أو جماعات متشددة على الإنترنت، فيبدأ يصدق أن كل من يخالفه عدو له، فيدعو إلى كرههم أو مقاطعتهم.[١]

وهناك اثار عامة للتعصب منها:

١- المتعصّب لا يدرك الواقع إدراكًا صحيحًا، إذ لا يرى إلا ما يوافق ميوله، ويتجاهل ما هو واضح عند غيره، فتتشكّل أحكامه وفق تصوّره الخاص. ومثاله: طالب متعصّب لفكرة معيّنة يعتقد أن صديقه لا يحبه لأنه لا يجلس معه كثيرًا، فيفسّر كل تصرّف على هذا الأساس. فإذا رآه يتحدث مع طلاب آخرين قال: هو يتعمّد تجاهلي، وإذا تأخر في الرد على رسائله ظنّ أنه يتجاهله عن قصد. لكنه يتجاهل الحقيقة الواضحة عند الآخرين، وهي أن صديقه مشغول بالدراسة أو بظروفه الخاصة، وهكذا لا يدرك الواقع إدراكًا صحيحًا، لأنه لا يرى إلا ما يوافق شعوره وفكرته المسبقة، ويهمل التفسيرات الواضحة والمنطقية.

[١]) ينظر: التعصب أسبابه وصوره ومعالجاته، د. أحمد عبد الرزاق، مقال على الصفحة الرئيسية للفيسبوك لموقع كلية العلوم الاسلامية في جامعة الانبار بتاريخ ٢٠٢٢/٤/٢٤م.

٢- يؤدّي التعصّب إلى توسيع دائرة الخلاف وتمزيق النسيج الاجتماعي، ويضعف فرص الوصول إلى حلول فعّالة. ومثاله: عندما يتعصب مشجعو فريقين رياضيين، يتحول النقاش البسيط إلى شجار وقطيعة بين الأصدقاء أو حتى العائلات.

٣- يسهم في تزييف الحقائق، مما يحول دون اتخاذ القرار الصائب. ومثاله: شخص متعصب لرأيه السياسي ينشر أخبارًا غير صحيحة فقط لأنها تؤيد فكرته، حتى لو كانت غير مؤكدة.

٤- يحرم الأمة من التقدّم والرقي، ويدفعها نحو التخلف والانحطاط. ومثاله: رفض بعض الناس تعلم أفكار أو علوم جديدة فقط لأنها "من جماعة أخرى"، مما يؤدي إلى التخلف عن التطور.

٥- يخلّ بالموضوعية في البحث العلمي، ويمنع الوصول إلى نتائج دقيقة. ومثاله: رفض بعض الناس تعلم أفكار أو علوم جديدة فقط لأنها "من جماعة أخرى"، مما يؤدي إلى التخلف عن التطور.

٦- يغذّي النزاعات ويطيل أمد الخلاف والشقاق. ومثاله: خلاف بسيط بين جارين يتطور إلى مشكلة طويلة لأن كل طرف يرفض الاعتذار أو التفاهم بسبب التعصب.

٧- ينشر الكراهية والبغضاء والحسد والحقد، ويشيع الغيبة والنميمة. ومثاله: شخص يكره زميله فقط لأنه من منطقة أو طائفة مختلفة، فيتكلم عنه بالسوء وينشر الإشاعات.

٨- يزيد من حدّة القلق والتوتر في المجتمع. ومثاله: عندما تنتشر التعصبات بين الناس، يشعر الجميع بالخوف وعدم الارتياح في التعامل مع الآخرين.

٩- يكرّس الظلم ويؤدي إلى هضم الحقوق. ومثاله: مدير يعطي الوظائف لأقاربه أو جماعته فقط، ويحرم الأكفأ منهم.

١٠- يضعف الأمة ويسهم في انتشار الفتن والحروب الداخلية. ومثاله: عندما تنقسم جماعة أو بلد إلى مجموعات متعصبة، يصبح من السهل حدوث صراعات داخلية.

١١- يرسّخ العزل السكني، بحيث تنغلق جماعات معينة في مناطق خاصة ويصعب على غيرها السكن فيها. ومثاله: سكن كل جماعة في حي خاص بها ورفضهم السكن مع جماعات أخرى بسبب التعصب.

١٢- يعزّز النظرة الدونية والعدائية تجاه الآخرين، واعتبارهم أقل مكانة وقدرة، ونسب صفات منفّرة إليهم. ومثاله: شخص يعتقد أن جماعته أفضل من غيرها، فيتعامل مع الآخرين بتكبر واحتقار.

١٣- يدفع المتعصّبين إلى سلوكيات لا أخلاقية ومضادّة للمجتمع تجاه الآخرين. ومثاله: شخص متعصب لفريقه أو طائفته يبدأ بشتم الآخرين أو نشر إشاعات عنهم في المدرسة أو على مواقع التواصل فقط لأنهم ينتمون لفريق أو جماعة مختلفة عنه، فيؤذيهم بالكلام رغم أنهم لم يسيئوا له.

١٤-يفقد المتعصّب القدرة على تقمّص مشاعر الآخرين وفهم وجهات نظرهم المختلفة. ومثاله: طالب يرى زميله يرسب في الامتحان، فيسخر منه ويقول إنه كسول، ولا يحاول أن يفهم أن زميله قد يكون مريضًا أو يمر بظروف صعبة في البيت، لأنه لا يرى إلا وجهة نظره هو.

١٥- يقوم على حبّ الذات والأنانية والتمحور حول النفس، إذ يميل الإنسان إلى من يشبهه وينفر من المختلف عنه، بدافع غفلة أو وعي زائف أو اضطراب نفسي. ومثاله: شخص يعتقد أن جماعته أو عائلته أو قبيلته أفضل من الجميع دائمًا، ويرفض التعاون مع الآخرين أو الاستماع لهم، لأنه يرى أن رأيه هو الصحيح دائمًا ولا يعترف بخطئه.[١]

المطلب الرابع: منهج الاسلام في محاربة العصبية

١ - التذكير بأصل الإنسان : إن على الدعاة التذكير الدائم لمجتمعهم بأصل الإنسان ومما خلق فهذا الخطاب يرد الإنسان المتعب إلى جادة الصواب وهو كذلك الخطاب القرآني وخطاب الرسول (ﷺ) لقومه فالتراب : هو معدن الإنسان ، فخلقته الجسدية من عناصر منه متساوية في الذكر والأنثى، وهذه مقصودة حتى لا يفخر أحد على أحد، قال الله عز وجل : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾. السجدة: ٧

٢- التقوى قاعدة التفاضل في الإسلام : من وصايا النبي (ﷺ) في حجة الوداع قال :« يا أيها الناس إن ربكم واحد و إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي و لا عجمي على عربي و لا أحمر

[١]) ينظر: التربية الإسلامية ودورها في نبذ التعصب من خلال مصدريها الأصليين القرآن الكريم والسنة النبوية، ص١٢١-١٢٢.

على أسود و لا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن اكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله قال:« فليبلغ الشاهد الغائب »[١].

٣-ذم العصبية والتحذير منها ما قال تعالى: ﴿ قلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالَ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. التوبة:٢٤.

٤-الجزاء الذي يناله الوالغ في العصبية : عن جبير بن مطعم أن رسول الله (ﷺ) قال: « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية[٢] ».

٥-قاعدة الأخوة الإيمانية : ولذا كان على المؤمنين أن يعلموا أنه لا قيمة لهم بغير دينهم وسيبقون في شقاق وفي آخر الركب إذا لم يتبعوه[٣]، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾. ال عمران: ١٠٣

يُعَدّ التعصّب نقيضًا صريحًا للتسامح والانفتاح، وقرينًا للانغلاق، سواء كان انغلاقًا على الذات أم انغلاقًا فكريًا؛ إذ يقوم على التمسك الجامد بأفكار محددة، والتقوقع حولها، مع العجز عن تجاوزها أو التحليق خارج إطارها، فيغدو الفرد أسيرًا لها دون سواها. كما ينطوي التعصّب على الشدة والتصلّب في اعتقاد صواب الرأي، ورفض الاستعداد لتقبّل الرأي الآخر، حتى وإن كان قائمًا على الحق. وقد ارتبط مفهوم التعصّب بالعمى، وهو ارتباط ذو دلالة عميقة؛ إذ يعمي التعصّب البصر والبصيرة معًا، فيتحول الإنسان المتعصّب إلى أعمى فكريًا، وإن كان مبصرًا حسيًا، فلا يرى إلا ما استقرّ وترسّخ في ذهنه، فتفقد العين حينئذٍ وظيفتها الحقيقية في الإبصار[٤].

---

[١]) شعب الايمان، ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج احاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي، ط١، ١٤٢٣هـ، رقم الحديث: ٥١٣٧.

[٢]) سنن ابي داود، ابواب النوم، باب العصبية، ٣٢٣/٤، رقم الحديث: ٥١٢١.

[٣]) ينظر: العصبية وخطرها على الفرد والمجتمع، ص١١-١٣.

[٤]) ينظر: العصبية بنية المجتمع العربي، ص ١١٤.

المصادر والمراجع

١. اضواء البيان في ايضاح القران بالقران، محمد الامين بن محمد المختار للشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٢. ايات ذم التعصب والعناد في القران الكريم دراسة موضوعية، م.م.محسن عبد الله خلف، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث والستون، كانون الاول، ٢٠٢٣م.
٣. التربية الإسلامية ودورها في نبذ التعصب من خلال مصدريها الأصليين القرآن الكريم والسنة النبوية، سلامة مطر حسين المزاودة، مجلة كلية التربية في جامعة أسيوط، المجلد السابع والثلاثون، العدد الثاني، شباط، ٢٠٢١م.
٤. التعصب أسبابه وصوره ومعالجاته، د. أحمد عبد الرزاق، مقال على الصفحة الرئيسية للفيسبوك لموقع كلية العلوم الاسلامية في جامعة الانبار بتاريخ ٢٠٢٢/٤/٢٤م.
٥. تفسير التعصب والحد منه بين النظريات النفسية والاجتماعية، صديق بلحاح، مجلة معارف، عمان، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، حزيران، ٢٠٢٤م.
٦. تفسير القران العظيم، اسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.
٧. التفسير القراني للقران، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٨٢.
٨. تفسير الماوردي، الامام ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩. تيسير التحرير، محمد امين بن محمود البخاري الحنفي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، جمعية احياء التراث الاسلامي، الكويت، ٢٠٠٠م.
١١. حاشية السندي على مسند الامام احمد بن حنبل، العلامة ابي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣١هـ.
١٢. ربيع الابرار ونصوص الاخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٣. سنن ابي داود، أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي، اعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ.
١٤. شعب الايمان، ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج احاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٥. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ.
١٦. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٤٧٤هـ.
١٧. العصبية بنية المجتمع العربي، عبد العزيز قباني، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٧م.
١٨. العصبية وخطرها على الفرد والمجتمع، عبيدة عبد الله علي مسعد العبدلي، دط، دت.
١٩. علم النفس الاجتماعي، نادر طالب الشوامرة، دار الثقافة، عمان، ط١، ٢٠١٤م.
٢٠. كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١.
٢١. الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج، محمد الامين بن عبد الله الهرري، دار المنهاج، بيروت،٢٠٠٩.
٢٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل الانصاري ابن منظور، دار صادر بيروت، ط٣، ١٩٩٥م.
٢٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد ابو الحسن نور الدين الملا هروي القاري، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
٢٤. المسند للامام احمد بن حنبل الشيباني، المكتب الاسلامي، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ.
٢٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار احياء التراث الاسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٢٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.